المملكة وعدم دخوله فيها واستقر رأي المجلس على هذا القرار الاخير وارسل الملك هدايا
زيادة على الهدايا التي ارسلها سلفا لهذا الغاير المجهول امره له مع اوامر شديدة في سرعة
ابتعاده من الساحل ولما ارسل منتظوما المندوبين من طرفه اعتزل في داخل سرايته وترك
لذة معيشته ورأى في نفسه ان مملكة انهواك الخطيرة صارت على شرف الاضمحلال والسقوط
وفي ظرف هذه المدة شيد قورطيس معسكر الاسبانيين من اخصاص من الحطب واسكنوا
على موقد جديد وتمتعوا في معسكرهم وعادت اليهم ارواحهم وقوتهم من بعد الذي حصل لهم
من الكد والتعب في اسفارهم وحركاتهم وقبلوا هدايا الملك مع الحماسة الا ان نتيجة الكنوز
التي ارسلها منتظوما كانت مخالفة بالكلية لما كان يؤمله من قبل مع مجلسه وانها ما كانت الا
سببا في هياج واشتعال نيران اغراض الاسبانيين المبني عليها استحواذهم على كافة ما
في يده التي عينا لها وردت اليهم مثل هدايا من طرفه ومن الاتفاق العجيب ان السياسة
القبيحة والاعمال الفظيعة التي كان منتظوما متخذها من سنين مضت مع الامم الاخرى المجاورين
له ظهرت في هذا الوقت وصارت تلك الامم اعداء مملكته بسبب الغارات والحروب التي كانت
قائمة بينه وبينها وحمل اسراها وتقريبها قربانا لالهه او معبوده وقابل هولاء الامم الاغراب
مع التاهل والترحاب وتقوى اهل هذه الامم من حضور قورطيس واتباعه من غير علمهم انهم
يكونوا في جامعة واحدة قوية مع بعضهم على القوة الجابرة عليهم من الطاغية منتظوما
فقد تم عليهم من شغلهم هذا خطأ بين وضرر كبير ليس هين لان قورطيس دمر عزيمة
اهل مكسيكا واستحوذ على كافة اموال منتظوما الى ان شدة قوته وصولته جارته وكانت
ما كانت متصورة في عقولهم الا قليلا وفتح حصونه وجعل قورطيس نفسه قائد عموم
كافة قواه وشيد مقر ويراكروز المسماة بمدينة الصليب الحقيقي الغنية وفي مدة اقامته
فيها وصل اليه دعوة سرور من حاكم سمبولان رجل سمين الجسم الد الاعداء لمنتظوما
ورخص له بالدخول في ارضه وبلاده بصفة صديق له وزيارة عاصمته بيوتها لا
ان موضع هذه المدينة مجهول الاثر بالكلية وان رواية تلك المدينة والاحتفال الذي
حصل له فيها من المحتمل انه من المبالغات وان قورطيس لما وجد نفسه مستوفيا في كافة اموره
في محل استراح فيه واكرم وقوي آل الحاله الى كونه يذكر هذه الجهة ذكرا جميلا وقبل
دعوة الداعي وسافر مع السرعة الى سمبولان مرورا مع رجاله واتباعه مما كونه ترك
ساحل خليج مكسيكا الرملي شديد الحرارة متوجها الى الارض المرتفعة باردة الهوا
ظريفة الطقس والمناخ ودخل في اليوم الثاني المدينة وقوبل فيها بصفة منتقم مخلص
لاهلها من سوء ما كان حايقا بهم من منتظوما الطاغية ولما قرب من المدينة قابله
امراؤها ووجوهها لابسين افخر ملابسهم وفي ايديهم اعناق وفروع الازهار والتمسوا
من قورطيس قبول العفو بسبب عدم حضور ملكهم لملاقاته بسبب ما هو فيه من عدم
الصحة وعدم طاقته على المقابلة الا في المدينة وخرج الاهالي في خارج المدينة في
انتظار حضور القادمين ونثروا تحت ارجلهم الزهورات واهدوهم صحب الورد و
الازهار وهدايا ذات قيمة ووصف مورخي ذلك الوقت من الاسبانيين مدينة سمبولان
مثل ما كانوا يصفوا كل شي على غير اصله مع ما كان قائم بهم من الحماس فذكروا ان
عقولهم انبهرت من ظرافة شوارعها ولمعان بياض مساكنها وابهة وظرافة بناياتها
وجنائنها وعرف قورطيس في اثناء اقامته في سمبولان حالة جمهورية طلكسكالا و
انها في عداوة شديدة مع مكسيكا فعول على انتفاع نفسه بهذه الامة لو امتنع الوصول
لها في حال عداوته وصمم رغما عن ما كرره عليه منتظوما في امر ابتعاده من البلاد على السير
الى انهواك وزيارة نفس الملك وسافر من سمبولان في يوم ١٦ اوغسطوس سنة
١٥١٩ الى طلكسكالا ومن المحتمل انه اتخذ طريقه الطريق الموصل الى جالابه مدينة قديمة
على علو ٤٠٠٠ قدم فوق سطح مياه البحر وكان قورطيس من قبل تركه ساحل البحر عزم
عزما قويا على تكسير القسم الاكبر من سفنه لاجل سد باب الامل وقطع الياس في رجوع
اي فرقة يحتمل وقوعها في صدور الناس النافرين منه من اصحابه وكان قد مضى ثلاث شهور
من عهد وصوله الى مكسيكا فكسر كافة المراكب الا واحدة صغيرة ومنها تم حصار لاجل
في العود مرة ثانية واستعد الفاتح مع الجيوش الذي حمل فيه وكانت
قوته مؤلفة في ذلك الوقت من ٤١٥ نفس من المشاة و ١٦ حصان ومعه سبعة قطع

مالنتزي او مارينه

قطع من الافواه النارية وبهذه الشرذمة القليلة جازف قورطيس على نفسه في عداوة
مملكة مسكونة باسم مجهول له عوايدها ولسانها ودون وسائط بجانبه لو حصلت له هزيمة
ومتوكل على شجاعة نفسه وفروسية شرذمته وعسكره
وفي مدة مقام قورطيس واصحابه في مدينة سيمبولان ومنتظوما منتظر قربهم مع الرعب
والخوف الزائد الواقع في قلبه نقف هنا برهة نذكر فيها قصة امرأة وهي شابة كانت اجل
شيء عند قورطيس المجازف الهاجم على مرتفعات وعلاوي انهواك وكان اسم هذه المرأة
المعقوقة الشريفة مالنتزي وكان مولدها في باينالا قرية بهيجة موضوعة الان
في اورجانات على حدود نهر كوطزاكولكو كانت زاهرة في سنة ١٥٠٢ وقيل ان تلك
المدينة ومدائن اخرى كانت تابعة لها مخصوصة لابيها وكان واحدا من عبيد الحكم من
المكسيكيه تغلب على امره منتظوما الثاني وعاشت هذه الاخيرة حتى بلغت السنة الحادية
عشرة من عمرها في رفاهية ولذة عيش ثم مات ابوها وتزوجت امها رجلا اخر
خلفت منه ولدا ذكرا واشتغفت امها بحب هذا الطفل والاعتناء بتربيته ولاجل نقل
اموال العائلة واملاكها الى هذا الطفل اشيعت الاخبار بموت البنت وكان الذي مات
عبد من العبيد فجعلوا رمه بصفة رمة الابنة الوارثة ودفنوها مع الاحتفال الملوكي
وطردت الابنة المسكينة او صار بيعها لبعض التاجرين من السيارات وهولاء باعوها الى
ملك الطاباسكيين وصارت عنده في صفة جارية فشبت وترعرعت في مملكة طاباسكا فانه
وفهمت بمهارتها اللسان الماياني المستقل في طاباسكو من دون ان تنسى لسانها الاصلي
الجاري عليه المخاطبات في الديوان الازطيقي واعتنى سيدها في تربيتها مثل الفتيات
الازطيقية الشريفة المولد حتى وصلت الى الوقت الذي خلصت فيه من الرق وما كان محل
فرعها محل شغل او مهنة او خدمة او الزام باشغال بل كانت في عيشة هنية ولذة دنيوية
واقليم جديد ظريف حوله على الدوام اشجار مزهرة وبنايات خضرة نضرة واحباب
واصحاب مسخرة وخدم ومحافظين مستعدة ولوان طبايع المحافظين عليها كانت طبايع
وعوايد المايانيون وفي سنة ١٥١٩ في الوقت الذي بلغت فيه هذه الفتنة الجميلة الى
سن سبعة عشرة سنة وصل قورطيس في طاباسكو ومن بعد زوال الرعب الاولي الذي كان
وقع في قلوب الطاباسكيين منهم واجتهدوا في مقاومة منع نزولهم على الساحل وكانت على
غير طائل ورغب الطاباسكيون عقد الصلح وعقد معاهدة تحالفية وكان من ضمن الهدايا
التي تقدمت للفاتح عشرون شابة من البنات الجواري شغلهن طحن الذرة اللازم لعمل
الخبز لاسيادهن المستجدين فامر قورطيس بتعليمهن الديانة المسيحية واللسان الاسباني
وكان من ضمنهن وارثة مملكة باينالا فدخلت في الديانة المسيحية بمعرفة اغيلار
وتعمدت باسم جديد هو مارينه وسماها الهنود مالينه لان لسانهم لا ينطق بحرف
الراء ثم تلقب قورطيس باسم مالنتزن يعني سيد مالينه وصارت لفظة مالنتزي او
مالنتزين علما على مارينة ولم تزل الاسبانيون الفقرا اسمه المصائب مقاليدها عليهم
وكان اغيلار الترجمان له دراية باللسان الماياني وما كان يعلم لفظة واحدة من اللسان
الازطيقي الجاري المحادثة به مع قورطيس فرأى قورطيس على حين غفلة شابة من شباب
النساء اللاتي اهداهن له رئيس الطاباسكيين تتكلم بعضا مع الذين ازدحموا حول
مراكب القادمين وتطلع قورطيس في الحال وصارت عنده في املا مكان في الترجمة بينه
وبين معتمدي ملك المكسيكيين وكانت تترجم الى اغيلار من اللسان الازطيقي الى اللسان
الماياني واغيلار يترجم الى قورطيس من اللسان الماياني الى اللسان الاسباني وارسل الى
منتظوما رسم وتصوير صورة هذه المكالمة في نقش ظريف مصور فيه هذه الفتنة الجميلة
واقفة بين الحزبين وفي احد جهتيها الصعود يلزمون الغريب قورطيس بالاجلا من
بلادهم وهم لابسون افخر لباس ملونه بالالوان ظريفة مزينة بالريش وحلى الجواهر وفي
الجهة الاخرى قورطيس لابس طقم الحرب حسب الوقت ومتقلدا درعه على فرسه على قدر
امكانه وجامعا حوله فوارس اصحابه وكان الازطيقيون يتكلمون بطلوب ومرغوب
ملكهم ومارينة ناظرة اليهم بنظر خفيف ظريف تسمع ما يقولون ثم تكلمه مع التبسم الى
اغيلار ويجمع اغيلار باللسان الماياني ما يا هذه من شفايف مارينه ويترجم من اللسان
الماياني في قالب ظريف الى اللسان الاسباني ويلقيه على قورطيس وكان جواب قورطيس
بهذه المشابهة بين اغيلار ومارينه للتبليغ وكانت تحوي هذه المكالمات ترحاب

Copyright © King Saud University